زخارف الأطباق النجمية في المشغولات الفنية للعمائر العثمانية بطرابلس الغرب 1711-1551

دراسة فنية نموذجية

أ.فتحية سليمان الصديق كلية الآثار والسياحة جامعة المرقب / الخمس

ملخص:

تتناول هذه الدراسة بالوصف والتحليل زخارف الأطباق النجمية، ولذلك لإبراز الدور الفني الذي لعبته هذه الزخرفة الهندسية في تزين العمائر العثمانية بطرابلس الغرب خلال العصرين الأول والقره ما نلى.

وتعدد وجودها في جًل المشغولات الفنية- العمائر - سواء أكانت زخارف الحفر على الجص أم زخارف البلاطات الخزفية أم بطريقة الحفر والتلوبن على الخشب.

وسنتطرق في هذه الدراسة إلى أخذ نماذج من الإبداع التقني والفني للأطباق النجمية، والتأثيرات التي ظهرت عليها وتوثيقها وتحليلها.

الكلمات المفتاحية: الأطباق النجمية ⊢التطعيم – الحشوات – تصميم – تعشيق.

Abstract:

This study deals with the description and analysis of the star dishes, and thus to highlight the artistic role they played This geometric decoration adorns the Ottoman buildings in western Tripoli during the first and Qarra eras.

Its presence in the solution of artfacts-buildings- is whether it is the decorations of carving on stucco or the decorations. Ceamic tiles or by the method of engraving and coloing on w00d

In this study, we will consider taking samples of the technical and artistic creativity of star dishes, and the effects that they have lt appeared documented .

key words: star plats – qraftinq – fillinqs – desinq – interlock.

مقدمة:

تعد زخارف الأطباق النجمية من الموضوعات التي امتاز بها الفن الإسلامي، حيث أقبل الفنان المسلم على هذه الزخارف إقبالاً كبيراً وأصاب في تنوعها وإتقانها توثيقاً عظيماً.

ومن وجهة نظر العقائدية البحثة، يُمكن التصاميم الهندسية، لكونها خالية من المعاني الرمزية، ولنقائها وانتظام الأنماط والتماثلات وقدرتها على استحضار الإحساس بالجمال الفائق. وتعتبر من العناصر السائدة في الزخارف المعمارية والزخارف المحفورة في المغرب والأندلس منذ القرن الثالث عشر الميلادي، كما أن معظم ما تم تشيده من العمائر خلال الفترة العثمانية، عمائراً في غاية الروعة والفن، حيث برع الحرفيون الذين مزجوا نقوشهم وزخارفهم بروائع المشرق والمغرب الناتجة عن التبادل الفني.

ولقد لعبت التأثيرات المغربية الأندلسية والتونسية دوراً هاماً ومؤثراً علي المشغولات العثمانية بطرابلس الغرب، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل، أولهما: عدم وجود حواجز طبيعية مانعة للتواصل بين الدولتين، وثانيهما: يتمثل في العامل التاريخي لخضوعهما لننفس للظروف السياسية نفسها الموجودة في معظم الفترات التاريخية، وثالثهما: العامل الثقافي ما بين الدولتين.

وقد وقع اختياري على موضوع زخارف الأطباق النجمية، لإظهار ما يتمتع به هذا العنصر الزخرفي من مميزات توحي بتقدم الحالة الفنية للعناصر الهندسية على العمائر العثمانية بطرابلس الغرب.

وتتجلى أهمية الدراسة في الكشف عن السمات الفنية التي يمتاز بها هذا النوع من الزخرفة، حيث تعد من أبرز سمات العناصر الهندسية، وتكمن فرضيتها في إمكانية الاستفادة من الأطباق النجمية بقيمتها الجمالية في الأعمال الفنية بتشكيلاتها الهندسية، ومحاولة لأحيائها، وشملت خطوات الدراسة على المحاور التالية:

أولاً: النشأة والتطور .

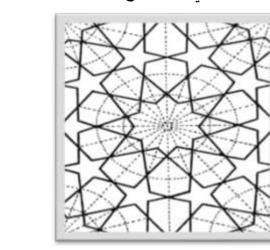
ثانياً: التكوين الزخرفي وأساليب التنفيذ.

ثالثاً :الإبداع التقني والفني لزخارف الأطباق النجمية علي مشغولات العمائر العثمانية بطرابلس الغرب.

أولاً: النشأة والتطور.

تعد الأطباق النجمية أكثر أنواع الزخرفة الهندسية الإسلامية انتشاراً على العمائر والتحف الفنية، وصارت من مميزاتها البارزة، التي كانت معروفة في الفنون الفارسية والبيزنطية، ولكنها تطورت وأخذت أشكالها الرائعة في الطراز الإسلامي خلال العصر العباسي لوحة (1)، وتطورها واتخاذها العنصر الزخرفي المتكامل منذ أواخر العصر الفاطمي في القرن6ه /12م، وخلال العصر الأيوبي إلى أن شاع استخدامها أبان العصر المملوكي. ويرجح بعض الباحثين أن الشعوب والقبائل التي كانت نقطن آسيا الوسطى نقلت إلى شرق العالم الإسلامي أقمشة ذات زخارف هندسية من بينها الأشكال المتعددة الأضلاع، وأن هذه الزخارف لا فضل لأحد في ابتكارها وتطويرها سوى الفنانين العرب المسلمين، وأنه ليس هناك طراز من طرز الفنون التاريخية قد وصلت إليه في الطراز العربي. "ا

وكانت بداية ظهورها على محراب السيدة رقية 527م/1133م خلال العصر الفاطمي لوحة (2)، والمحفوظ حالياً في متحف بالقاهرة، وقد بدأ بستِ حشوات ثم تطورت وزاد عدد حشواته إلى ستة أأ، وعلى محراب مسجد شيخون بالقاهرة في القرن 14م خلال العصر الأيوبي لوحة (3)، ومن الأمثلة الرائعة أيضاً والتي خلفها المزخرفون العرب في أوائل القرن 8ه، خلال العصر المملوكي، قبة الشيخ صدقة 715ه الوحة (4).



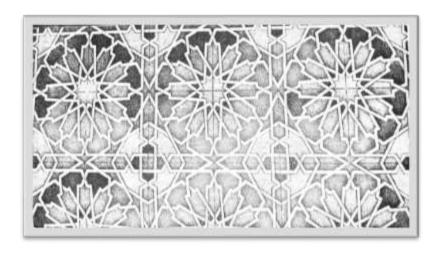
(لوحة 1) رسم تحليلي لزخارف هندسية من العصر العباسي

عن: بشاي سامي وآخرون، تاريخ الزخرفة، ص416.



(لوحة2) جزء من محراب السيدة رقية من العصر الفاطمي

عن: عبير محمد صالح، السمات الفنية للزخارف الهندسية وزخارف الأطباق النجمية في العصر الفاطمي، ص511.



(لوحة 3) زخارف هندسية من الأطباق النجمية من محراب مسجد شيخون بالقاهرة – القرن 14 العصر الأيوبي عن : بشاي سامي وآخرون، تاريخ الزخرفة، ص468.



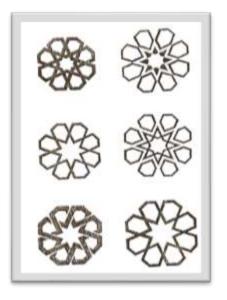
(لوحة 4)قبة الشيخ صدقة 715ه ،العصر المملوكي. عن : بشاي سامي وآخرون، تاريخ الزخرفة، ص472.

واستخدمت هذه الزخارف في زخرفة الحشوات والمنابر الخشبية، والأبواب، وعلى المنتجات الخزفية والنحاسية، وفي زخارف السقوف وغيرها، وقد أتقن الفنان المسلم هذا النوع وانصرف إلى الابتكار والتعقيد فيه.

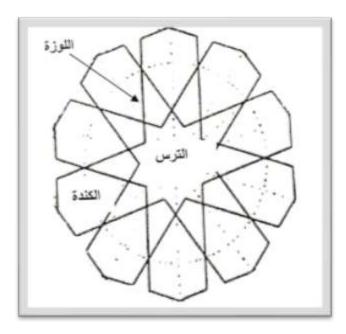
ثانياً: التكوبن الزخرفي وأساليب التنفيذ.

تقوم زخارف الأطباق النجمية على أسس علمية وقوانين رياضية وقياسات أحكم تطبيقها وفق بناء هندسي متقن^٧، وهي عنصر ذو التراكيب الهندسية منبثقة من الأشكال المتعددة والمجمعة، متكونة من دائرة وأقطار متعامدة الأضلاع وأقطار مربع متماثل ومتقاطع، وخط مستقيم، مما ينتج عنه رسم أطباق نجمية، ورسمت بطرق مختلفة، وهذا يرجع إلى الخامات المختلفة المنفذة عليها، حيث نجد في اللوحة الواحدة نجوماً مختلفة في التصميم الهندسي، بداية من ثمانية أضلاع حتى اثنان وعشرون ضلعاً^{١٧}، وهذا يدل على أن الفنان المسلم يتجه دائما إلى التغير والتطوير في الزخرفة الواحدة، وبخاصة أن الزخرفة نفسها قابلة لإنتاج أنواع وأشكال كثيرة وذلك عن طريق الدمج بين الخطوط أو الفصل بينهما وكذلك الفصل بين المساحات لمكونات الطبق الواحد، وكما يتم دمجها في تصميم واحد لوحة 5. أألا

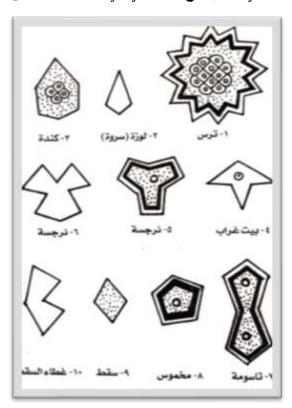
ويتكون الطبق النجمي من ثلاثة أجزاء رئيسية: الجزء الأول، النجمة المركزية التي تحتل مكان البؤرة، وهي مسننة الأطراف يطلق عليها " الترس"، والجزء الثاني، وهو اللوزة، الناتجة عن مضلعات ذات الأضلاع الأربع والمرتبة بشكل إشعاعي حول النجمة المركزية " الترس "، والجزر الثالث، وهي حشوات ذات الأضلاع والتي تنتج من محيط تلك اللوزات، وهي مقسمة إلى أجزاء ويطلق عليها " الكندة "، وهي عبارة عن حشوة سداسية وغير متساوية الأضلاع والزوايا "ألوحة 6، ويحيط بالطبق وحدات هندسية لها أسماء كثيرة منها: بيت غراب، والنرجسة، والتاموسة، والسقط، وغطاء السقط لوحة 7. *أ



(لوحة 5) أشكال متعددة للنجمة الثمانية (الطبق النجمي). عن: عبير محمد صالح، مرجع سابق، ص 516.

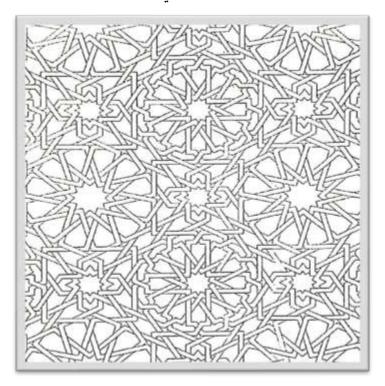


(لوحة6) أجزاء الرئيسية للأطباق النجمية عن: نهاد سيد محمد عفيفي، " الإبداع التشكيلي في زخارف الأطباق النجمية"، ص252.



(لوحة 7) وحدات هندسية محيطة بالأجزاء الرئيسية بطبق النجمي عن: عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ص723.

وكما تتم عملية الدمج في التصميم الواحد بأكثر من شكل للطبق النجمي، بحيث يحدث التغير من شكل نجمي لآخر وفق نظام هندسي يؤدي إلى الانتقال التدريجي من مركز الشكل النجمي إلى شكل آخر للوحة 8. وتفردت بمجموعات لونية بحيث اختيرت ذات الألوان الحدة العالية بمساحات لونية المجردة بشكل متجاوز وتباينها في التعشيقات بعض المشغولات الفنية. ألا



(الوحة 8) نجوم مختلفة في تصميم هندسي واحد. عن: عبير محمد صالح، مرجع سابق، ص 517.

ونفذت هذه الزخارف بعدة أساليب فنية، منها أسلوب التخريم، والحفر البارز والغائر العميق والمشطوف يتم تطعيمها في بعض الأحيان بالعاج، أوالعظم، أو الرخام، أو الفسيفساء، أوالأبنوس، أو الأصداف، لوحة 9 أ، ب، وهذا إسلوب زخرفي جديد وصل إليه الفنان المملوكي أند، وكما رسمت بطلاءات متعددة الألوان، حيث ورثها العثمانيون من العصر المملوكي، فضلاً عن الرسم بالاكية، وهذا الأسلوب كان معروفاً في العصور الإسلامية المبكرة بألوان محددة.

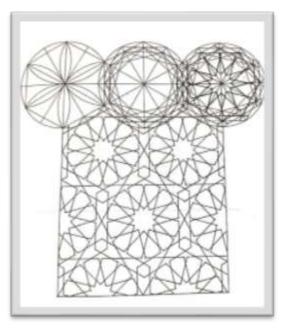


(لوحة 9أ) حشوة خشبية من العاج بزخارف الأطباق، العصر المملوكي . عن: نهاد سيد محمد عفيفي،، مرجع سابق، ص 517.



(لوحة 9ب) نحم طبقي مطعم بالرخام الملون، العصر المملوكي . عن: نهاد سيد محمد عفيفي،، مرجع سابق، ص255.

وكما استخدمت طريقة "ضرب خيط" في تنفيذ مثل هذا النوع من الزخارف، والتي كانت تعمل في الخشب والرخام بشكل خاص، من خلال رسمها بواسطة خيط يغمس في مادة ملونة كالجير والحمرة ونحوهما، ثم يشد الخيط بين مسمارين في الاتجاه المطلوب، ثم يرفع إلى أعلى ويسقط إلى أسفل لينزل على الخشب أو الرخام فيترك عليه خطاً ملوناً بواسطته تعمل التقسيم الهندسي للوحدات المطلوبة لوحة 10.



(لوحة 10) طريقة ضرب خيط في عمل زخارف الأطباق النجمية. عن: عاصم رزق، مرجع سابق، ص 714.

ثالثاً: الإبداع التقني والفني لزخارف الأطباق النجمية علي مشغولات العمائر العثمانية بطرابلس الغرب.

-البلاطات الخزفية: شهدت هذه العمائر التأثيرات المغربية والأندلسية في الثراء الزخرفي بالبلاطات الخزفية في أشكالها المقتبسة من أسبانيا، والمصنوعة في تونس بأسلوب عثماني.

حيث ظهرت زخارف الأطباق النجمية على تكسية الجدار الشمالي لبيت الصلاة لجامع شائب العين (1698–1699م)، في مساحات محصورة بين المداخل والنوافذ عل بلاطات صغيرة الحجم متماثلة مطلية بالمينا طول طلع كل منها 12سم، في منتصفها نجمة مكونة من ستة عشر رأس مذبب، مع استعمال أسلوب التباين والتناغم اللوني من خلال استعمال اللون البني والأصفر والأخضر ولمسات من الأبيض لوحة 11، كما ظهر مثل هذا النوع أيضاً حول أبدان المآذن، ومداخل سلالم المنابر، وتشبه هذه البلاطات من حيث التصميم والألوان التي كسيت بها العمائر

الموجود في الدول المجاورة " تونس والجزائر"، مما يرجح أن يكون هذا النوع من البلاطات تم استجلابها إلى طرابلس الغرب من الجزائر، وتونس المصنوعة بـ"القلالين"، وخير أمثلة على ذلك تكسية جدران سوق جامع الغزال "حسين باي" في مدينة الجزائر 125-114ه|113-1736|0، ومدخل لبيت الصلاة وكوشتي أحد المداخل في زاوية سيدي قاسم بتونس |113|0 على بلاطات ذات أحجام كبيرة .







(لوحة 11) زخارف الأطباق النجمية على تكسية الجدار الشمالي لبيت الصلاة لجامع شائب العين(1698-1699م)

وظهر نوع آخر من التصميم الهندسي لزخارف الأطباق النجمية في منتصفها نجمة مكونة من اثني عشر رأس مذبب، مع وجود التباين اللوني بإستعمال اللون البرتقالي والأخضر والأزرق، على الإطار الموجود حول اللوحة التأسيسية أعلى مدخل جامع أحمد باشا (1737-1738م) لوحة 12 أ، والنوافذ، والأبواب لوحة 12ب، ج.



لوحة 12أ، اللوحة التأسيسية أعلى مدخل جامع أحمد باشا (1737-1738م).



لوحة 12 ب، زخارف الأطباق النجمية حول نوافذ جامع أحمد باشا.



لوحة 12ج، زخارف الأطباق النجمية حول مداخل جامع أحمد باشا.

-الأخشاب: ظهر نوعان من الزخارف الخشبية في العمائر العثمانية بطرابلس الغرب؛ المحفورة، والمرسومة بطلاءات متعددة الألوان، على المداخل والأبواب، والسقوف، ودكات المبلغين في المساجد.

حيث نفذت على ضلفتي الباب الرئيسي لجامع أحمد باشا بأسلوب الحفر البارز، في القسمين العلوي والسفلي للباب، من حيث توزيع المساحات والتي هي عبارة عن شكل مربعات يتوسطها معينات تحيط بها أشكال هندسية بطريقة متناظرة بداخلها زخرفة ذات أطباق نجمية، والجزء الأوسط مقسم إلى أربع مستطيلات موزعة بطريقتين (الأفقية والرأسية)، ويحوي كل مستطيل الزخارف نفسها التي تكرر استخدامها في كل مساحات الباب منفذة بأسلوب الحفر الغائر



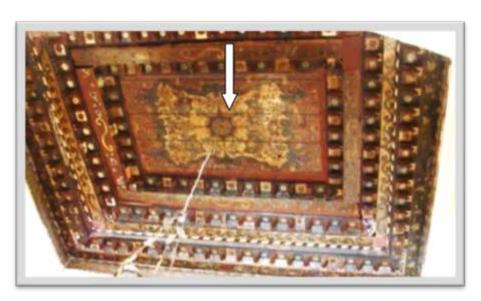
(لوحة14) شكل مربعات يتوسطها معينات تحيط بها أشكال هندسية بطريقة متناظرة بداخلها زخرفة ذات أطباق نجمية، الباب الرئيسي لجامع أحمد باشا

وكما شغلت زخارف الأطباق المنفذة بطريقة الرسم بالدهان بألوان متعددة، * باطن الأجنحة البنائية الرئيسية لوحة 15، وبواطن دكات المبلغين في المساجد، ومثال ذلك باطن دكة جامع أحمد باشا التي ازدانت بزخارف متعددة من الأشكال النجمية المنفذة بطريقة الرسم بالدهان مكونة من ثمانية رؤوس مذببة لوحة 16، وباطن دكة جامع مصطفى قرجي (1833–1834م)، التي

*زخرفة الأخشاب بالخدش والحفر والتلوين والحرق من طرائق التي هرت منذ الفن البدائي، وعلى الصناعات المصرية القديمة ، سامي بشاي وآخرون/ مرجع سابق، ص

ص 22-99

تعد من أجمل نماذج الزخرفة على الخشب في العمائر العثمانية بطرابلس الغرب، شملت على تصميم هندسي بأربعة مثمنات داخل بعضها، يمركزها نجم طبقي من ثمانية رؤوس، بألوان متباينة، البرتقالي المحمر، والأخضر، والبني، ويشغل الفراغ بين أضلاع المثمنات الأربعة زخارف هندسية ونباتية دقيقة. لوحة 17.



(لوحة 15) زخارف الأطباق المنفذة بطريقة الرسم بالدهان على الأجنحة البنائية، في العمائر العثمانية بطرابلس الغرب.



(لوحة 16) زخارف الأطباق المنفذة بطريقة الرسم بالدهان، جامع أحمد باشا.



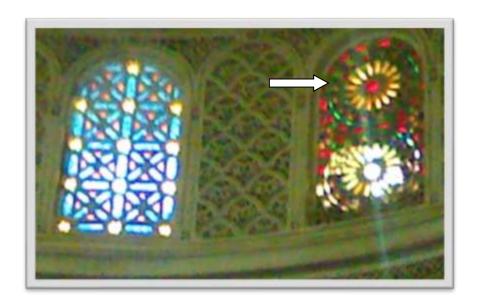
(لوحة 17) زخارف الأطباق المنفذة بطريقة الرسم بالدهان، جامع مصطفى قرجي.

- الجص: شهدت العمائر العثمانية بطرابلس الغرب تطوراً كبيراً في مجال التصاميم وأساليب التنفيذ بالزخارف الجصية، ويرجع ذلك إلى ما يزخر به الكثير من أقطار المغرب العربي "المغرب، وتونس، والجزائر"، والتي تعتبر من أهم ما أنجزه الفنان المسلم في مجال فن الحفر على الجص.

ومن مظاهر الزخارف الجصية بجامع مصطفى قرجي وضريحه، الشمسيات التي تُغشى بها النوافذ بأشكال من الأطباق النجمية، في منتصفها نجمة مكونة من ستة عشر رأساً مذبباً، أغلقت بعضها بالزجاج المعشق المختلف الألوان، لسد الأجزاء المفرغة بين الوحدات الزخرفية، لإبراز جمال زخارفها وتكويناتها، وكما تساعد على انبعاث النور الهادي من خلالها إلى داخل الجانب المعماري، بحيث يكون ملوناً ليخفف من حدة الإضاءة لوحة 18 أ، ب. المعماري، بحيث يكون ملوناً ليخفف من حدة الإضاءة لوحة 18 أ، ب.



(لوحة 18أ)

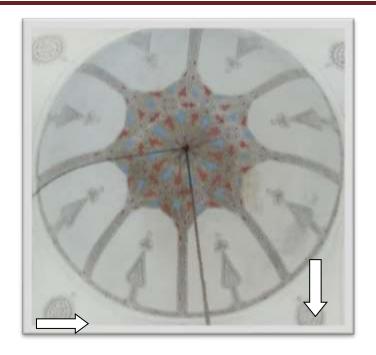


(لوحة 18أ، ب) الشمسيات التي تُغشى بها النوافذ بأشكال من الأطباق النجمية قبة ضريح جامع مصطفى قرجي

كما يحتوي أيضاً على زخارف الأطباق النجمية المحفورة على الجص الملون بالأزرق والأحمر، وهو ابتكار مغربي اسباني الله 19 أ، ب، وظهورها على دركات على أحد مداخله، داخل مجاز معقود نصف دائري، تتكون من وحدات الطبق الكامل، ويضم في منتصفه وريدة، وعلى جانبيه شجرتا سرور، بطريقة التخريم لوحة 20.



(لوحة 19أ) زخارف الأطباق النجمية المحفورة على الجص الملون بالأزرق والأحمر، جامع مصطفى قُرجي.





(لوحة 19ب) زخارف الأطباق النجمية المحفورة على الجص الملون بالأزرق والأحمر، قبة جامع مصطفى قُرجي.



(الوحة 20) زخارف الأطباق النجمية على دركاة أحد مداخل جامع مصطفى قُرجي.

- الحجر: نفذت زخارف الأطباق النجمية على بعض العقود الحجرية، حيث وجدت في وسط عقد مستقيم لمخل بيت الصلاة لجامع شائب العين مكوناً من اثني عشر رأساً محفوراً حفراً بارزاً. ومن خلال هذه الدراسة نستنتج أن:
- اتجاه الفنان إلى الابتكار والتنوع في زخارف الأطباق النجمية، نتج عنه إبداعاً تشكيلياً متجدداً لإكساب الفنون الإسلامية صفة الأصالة والمعاصرة.
- وكشفت لنا الدراسة عبر الوصف والتحليل عن خصائص الفنية التي امتازت بها هذه الزخرفة وتطورها الهندسي.
- إظهار جمالية زخارف الأطباق النجمية في العمائر العثمانية له دور كبير في إنتاج أشكال في غاية الجمال بتصميمها الهندسي، مما يدل على ما وصلت إليه أنامل الفنان المسلم للإبداع في منتهى الجمال.
 - أظهرت الدراسة وجود التأثيرات الفنية الوافدة من الطراز المغربي، على العمائر العثمانية .
 - وجودها في العديد من المشغولات الفنية المرتبة بالعمائر.
- كما نوصي بالتزايد في الاهتمام بهذا المورث الحضاري وعدم تجاهله، والاستفادة من مقومات الماضي، بإقامة معارض خاصة لكي تشغل الحيز المناسب لبعض الجوانب الزخرفية المتأصلة لمفهوم هوية هذه الفنون ووضعها ضمن المنتوج في كافة الصناعات.

الهوامش.

- Brian Wichmann David, IsLamic Design: A Mathematical Approach, iy $^{\rm i}$ byrkhawsr.p. 32.

ii- عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة المدبولي، مصر، 2000م، ص 180؛ فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م، ص219.

iii- أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي، دار المعارف، لبنان، 1974م، ص 282؛ على أحمد الطايش، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة(الأموي والعباسي)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ،2000م، ص19؛ (م.س) ديماند، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد موسى عيسى، دار المعارف، ط3،مصر،1982م، ص 121.

vi- سامي رزق بشاي وآخرون، تاريخ الزخرفة، مطابع الشروق، جامعة حلوان، القاهرة، 2002م، ص ص 472-468.

بعض بخش، الاستفادة من مفهوم ما بعد الحداثة إلى ابتكار تصميمات زخرفية تجمع بين زخارف فنون بعض الحضارات المختلفة، رسالة ماجستير، كلية التربية الفنية، المملكة العربية السعودية، 2007م، ص 313.

· فوزي سالم عفيفي، فنية الزخرفة الهندسية، دار الكتاب العربي، ط1، دمشق، 1997م، ص ص 22-23.

iiv- عبير محمد صالح، السمات الفنية للزخارف الهندسية وزخارف الأطباق النجمية في العصر الفاطمي، مجلة التربية، جامعة بور سعيد، العدد الرابع عشر، 2012م، ص516.

" « نهاد سيد محمد عفيفي "الإبداع التشكيلي في زخارف الأطباق النجمية " ، مجلة التصميم الدولية ، المجلد 4 ، العدد 3 ، ص 251.

ix مني بخش، **مرجع سابق**، ص 176؛ عاصم محمد رزق، **مرجع سابق**، ص 180؛ **على أحمد الطايش**، مرجع سابق، ص 180؛ على أحمد الطايش، مرجع سابق، ص 19.

x- عبير سيد محمد عفيفي، مرجع سابق، ص23.

xi نهاد سید محمد عفیفی، مرجع سابق، ص252.

xii عاصم محمد رزق، **مرجع سابق،** ص 285؛ أبو صالح الألفي، مرجع سابق، ص119.

xiii حسن الباشا و آخرون، القاهرة تاريخها فنونها آثارها، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1970م، ص 355.

xiv عاصم محمد رزق، مرجع سابق، ص 174.

^{xv}-عبد العزيز محمود لعرج، ا**لزليج في العمارة الإسلامية في الجزائر**، منشورات عويدات، بيروت، 1990م، ص52؛ Gafsi,Abdelhaki, **Monuments Andalous de Tunisi**e . Aqence Nationa le patrimoine, Tunis, 1992, .pp.22 – 23.

iv عبد المعز شاهين، **ترميم وصيانة المباتي الأثرية والتاريخية**، وزارة الثقافة المجلس الأعلى، مطابع مجلس الأعلى للأثار، 1994م، ص 139.

xvii و آخرون، مرجع سابق، ص 495.